جامعة محمد خيضر – بسكرة

كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية

قسم العلوم الإنسانية

المستوى: السنة الثانية

التخصص: التاريخ العام

الأستاذ: حاجي فاتح

مقياس: الجغرافيا البشرية

السلالات البشرية

العناصر:

- تمهيد

1 - أصل الجنس البشري وانتشاره على سطح الكوكب

2 - تطور الدراسات الخاصة بالسلالات البشرية، وإسهامات فروع العلم المختلفة

3 - مفهوم السلالة البشرية

4 - تصنيف السلالات البشرية

4 – 1 – معايير التصنيف

4 – 2 – أنواع السلالات وخصائص كل سلالة

****

تمهيد:

يعرف سطح الأرض تنوعا مدهشا في الظواهر الطبيعية والبشرية، سعى الجغرافيون لدراسة هذا التنوع والتباين، بما في ذلك التباينات المتعلقة بالبشر أنفسهم، كون المجموعات البشرية تتباين من حيث الصفات الجسمانية والخصائص الثقافية والحضارية، حتى الدارسين انتهوا إلى أن الاختلافات الجسمانية بين البشر هي الأكثر بين الثديات على سطح الكوكب باستثناء البعض منها فقط.

لقد كانت هذه الاختلافات بين البشر مصدرا - في كثير من الأحيان - لعنصرية مقيتة، تطلبت جهودا حثيثة للحد منها، لذلك عقدت عدة مؤتمرات لهذا الغرض، كما هو الحال بالنسبة لمؤتمر ديربان 01 في جنوب إفريقيا في عام 2001 والذي اهتم بتسمية العنصرية في سياقاتها الإقليمية والوطنية والمحلية، ومؤتمر ديربان في سنة 2009 بجنيف.[1]

كما تم اتخاذ **يوم عالمي للقضاء على التمييز العنصري هو 21 مارس**، وهو يوم اعتمدته الجمعية العامة للأمم المتحدة سنة 1979 بداية لأسبوع التضامن مع الشعوب التي تكافح ضد العنصرية والتمييز العنصري.[2]

1 - أصل الجنس البشري و انتشاره على سطح الكوكب:

- من هو الإنسان؟

يتم تعريف الإنسان تشريحيا ووظيفيا، فمن الناحية التشريحية يتصف الإنسان بانتصاب القامة، حجم معين للمخ، وتطور للأجهزة الصوتية ... الخ، ومن الناحية الوظيفية الإنسان له القدرة على الكلام واكتساب اللغة، وله القدرة على التفكير والإبداع وبالتالي إحداث التغيير الواعي والمركب في البيئة (القيام الزراعة، الصناعة التعمير .....الخ).

[1] المؤتمر قاطعته دول غربية منها الولايات المتحدة وفرنسا بحجة أنه قد يستخدم لما سمته معاداة السامية

[2] تم اتخاذ هذا التاريخ بمناسبة ذكرى تعود إلى سنة 1960 حين قتلت الشرطة 69 شخصا في شاربفيل بجنوب إفريقيا من المشاركين في مظاهرة سلمية ضد "قوانين المرور" التي فرضها نظام الفصل العنصري وقتها.

البشر الموجودون حاليا على سطح الأرض تم تصنيفهم إلى نوع الإنسان العاقل (باللاتينية: *Homo Sapiens*) وفق تصنيف لينيوس[1] الشهير، حيث يتم وفق هذا التصنيف إعطاء الأنواع المختلفة تسمية ثنائية بناء على اتفاق العلماء، يعرف الجزء الأول من الاسم الجنس ويعرف الجزء الثاني نوع الفرد.

وتصنيف الإنسان وفق نظام لينيوس التراتبي يكون كالآتي:

التصنيف البيولوجي للإنسان المعاصر.

Living Races: Sub-Spieces	الإنسان المعاصر: نوع ثانوي
Homo Sapiens: Spieces	الإنسان العاقل: نوع
Homo: Genus	الإنسان: جنس
Hominidae: Family	الهومينيديا: عائلة
Primates: Order	الرئيسيات: رتبة
Mamalia: Class	الثدييات: طبقة
Vertebrae: Phyla	الفقاريات: فصيلة
Animal: Kingdom	الحيوان: مملكة

- متى ظهر الإنسان على سطح الأرض؟

من بين الأسئلة الوجودية التي يطرحها الإنسان على نفسه السؤال المتعلق بتاريخ ظهور الإنسان أول مرة على سطح هذا الكوكب؟

والإجابة القديمة على هذا السؤال جاءت بها أساطير الحضارات القديمة في بلاد العراق القديم وفي الحضارة المصرية القديمة والحضارة اليونانية .... الخ، كما وردت إجابات على هذا السؤال في ديانات كثيرة ومنها الكتب الدينية السماوية منها اليهودية والمسيحية.

في التاريخ المعاصر بدأت رحلة البحث عن تاريخ ظهور الإنسان بطريقة علمية عن طريق تأريخ عمر الهياكل العظمية البشرية أو الآثار التي خلفها الإنسان.

[1] كارل لينيوس (1707 - 1778) عالم طبيعة سويدي، وهو واضع أسس التصنيف العلمي الحديث لتحديد الأجناس الطبيعية وأنواع الكائنات الحية، وإنشاء نظام موحد لتسميتها (نظام التسمية الثنائية: اسم الجنس واسم النوع)، وهو الذي قام بصياغة الاسم الثنائي الإنسان العاقل عام 1758.

في الحقيقة عمر الإنسان في المتوسط لا يزيد عن ثلاثة إلى أربعة ملايين سنة، وهي فترة قصيرة مقارنة بفترة ظهور الحياة، والتي تقدر ما بين 500 و600 مليون سنة، وهي فترة قصيرة جدا مقارنة بعمر الكوكب المقدر بأربعة ملايير ونصف مليار سنة.

- أصل الإنسان: تنوع الصفات... هل أصل الإنسان واحد؟

الإجابة قديمة جاءت بها الديانات السماوية، والقائلة بوحدة الأصل البشري، لكن ومع التحرر من القيود المعرفية الكنسية وبداية الغزو الأوروبي ظهرت الأفكار التي تقول بتعدد أصول الإنسان على سطح الأرض تبريرا لفكرة سيادة الرجل الأوربي.

وفي محاولة منهم لتفسير تباين الصفات الجسمية بين المجموعات البشرية، اعتقد البعض أن للإنسان عدة نشآت مستقلة في مناطق جغرافية مختلفة، حيث نشأت سلالة في أوروبا وأخرى في أسيا وثالثة في إفريقيا، من أبرز منظري هذا الرأي الألماني كلاتش *Hermann Klaatsch* (1863- 1916)، لقد حاول إثبات أن نشأة الجنس المغولي كانت في الشرق، والجنس الزنجي في إفريقيا، ونشأة الجنس القوقازي في الوسط.

أما حاليا، يتفق معظم الأنثروبولجيون على أن كل سلالات الإنسان الحالي ليست إلا تفريعات مختلفة من نوع سلالي واحد هو نوع الإنسان العاقل *Homo Sapiens*، حتى أن مؤتمر اليونيسكو الانثروبولوجي[1] في شيكاغو 1950-1951 انتهى إلى أن الإنسان نشأ نشأة واحدة في مكان واحد، وقد نُشرت مقررات هذا المؤتمر في كتاب حمل عنوان "ما هو الجنس؟ What is Race").

وعليه لقد استنتج الباحثون المعاصرون أن مفهوم العرق ليس له صلاحية بيولوجية، ذلك أن تحليلات الحمض النووي أثبتت أن جميع البشر لديهم الكثير من العوامل المشتركة وراثيا أكثر من الاختلافات، فالفرق الجيني بين أي شخصين أقل من 1 في المائة. وتختلف المجموعات السكانية المنفصلة على نطاق واسع عن بعضها البعض في حوالي 6 إلى 8 بالمائة فقط من جيناتها بسبب تداخل السمات التي لا علاقة لها

[1] الأنثروبولوجيا: هي الدراسة المعملية للإنسان، منذ ظهوره على سطح الأرض، في مجالات تكوينه وصفاته الجسدية والاجتماعية والسلوكية، وتطور ونمو حضارته، وهي قسمان: الانثروبولوجيا الطبيعية تدرس الإنسان ككائن بيولوجي، والانثروبولوجيا الثقافية تدرس حضارة الإنسان المادية والاجتماعية والروحية (تطور الحضارة، اللغات، أشكال الحياة الاقتصادية والاجتماعية المختلفة، الفنون، العقائد ...الخ)

ببعضها البعض (مثل لون البشرة وملمس الشعر) ولم تفض الأبحاث إلى تجميع الشعوب في مجموعات عنصرية منفصلة.

– الموطن الأول للإنسان و انتشاره على سطح الأرض:

لقد ظهرت محاولات عديدة لتحديد المكان الأول الذي استوطنه الإنسان، لقد كان رأي داروين أن موطن الإنسان الأول هو جنوب إفريقيا، ورأى علماء آخرون الموطن الأول هو جنوب آسيا، في حين أن أبحاث علماء سوفيات رجحت مناطق جنوب أسيا وشمال شرق إفريقيا وجنوب شرق أوروبا.

أبحاث جينية قادها جون لي (كلية الطب جامعة ستاندفورد – كاليفورنيا)، نشرت في مجلة ساينس Science في 23 فيفري 2008 توصلت إلى أن الموطن الأول للإنسان هو جنوب إفريقيا، وأن هجرة الإنسان الأول كانت في البداية من جنوب القارة الأفريقية إلى شمالها، ثم إلى الشرق الأدنى ثم إلى أوروبا ثم إلى وسط وجنوب آسيا ومن ثم إلى جزر أوقيانوسيا في المحيط الهادي ثم إلى أمريكا.

كذلك بحث جيني حديث نشر في سنة 2019، بحمل عنوان: "أصول الإنسان في الأراضي الرطبة القديمة في جنوب إفريقيا وأول الهجرات" يذهب إلى الإنسان الحديث تشريحيا ظهر منذ حوالي 200 ألف سنة في جنوب إفريقيا (بوتسوانا – جنوب نهر زامبيزي)، ودام استقراره في المنطقة حوالي 70 ألف سنة لتبدأ هجراته والتي كانت مدفوعة على الأرجح بالتغيرات المناخية التي عرفتها المنطقة.

2 - تطوردراسات السلالات البشرية واسهامات الفروع العلمية:

الاختلاف بين المجتمعات البشرية خاصة تلك البادية للعيان، مثل لون البشرة ولون العينين وطول القامة وشكل الشعر وغير ذلك، دفعت الناس عبر العصور المختلفة إلى تصنيف عام إلى "ما هو متشابه"، و"ما هو مختلف"، وقد كان هذا "المختلف" محل استغراب وفي بعض الأحيان محل بحث وتحري، من هنا كانت الرغبة في دراسة التباينات المتعلقة الصفات البشرية.

قديما استهجن العبرانيون القدماء - إلى حد المقت - التهجين بين مختلف الأنواع الطبيعية، لأن ذلك - حسب زعمهم - يسفر عن تطور سلالة من المتوحشين العمالقة، لقد زعموا أن الله لعن الأفارقة السود

بالعبودية الأبدية فيما يعرف ب: "لعنة حام The Curse of ham"[1]، لقد شكلت هذه المعتقدات وغيرها مبررا لاستعباد جزء من البشر لوقت طويل.

لقد بدأت فكرة "العرق" تتطور في أواخر القرن السابع عشر، بعد بداية الاستكشاف والاستعمار الأوروبيين، كأيديولوجية شعبية حول الاختلافات البشرية المرتبطة بمختلف السكان.

كما شقت الأفكار العنصرية المرتبطة بالعرق في أوروبا طريقها إلى المجلدات المخصصة للتشريح والتصنيف البيولوجي ولم يتوقف الأمر هنا، بل وصلت إلى الموسوعات وكتب التاريخ وجغرافية، أي إلى الأعمال التي تهدف إلى تلخيص ونقل المعرفة المعاصرة، وبهذه الطريقة، يظهر كيف تم نشر الأفكار العنصرية إلى تمجد الإنسان الأوروبي وتحط من قدر غيره.

وعليه فالبداية كانت عبارة عن محاولات تركز على تقسيم البشر إلى مجموعات جنسية لها بعض الصفات المشتركة، لكن هذا التصنيف لم يسلم من الخلط بين "السلالة" و"القومية" و"اللغة والدين"، خاصة عندما حمّلوا لفظ السلالة صفات نفسية وسلوكية وحضارية تميز السلالة عن الأخرى، لقد تجلى هذا الأمر في خضم الحركة الاستعمارية الأوروبية مدفوعا بنظرية تفوق الإنسان الأوروبي على غيره.

لقد حدد لينيوس في عام 1740 أنواع مختلفة من الإنسان هي: الأوروبي، الأمريكي، الهندي، الآسيوي والأفريقي. غير أن لينـاوس ربط تصنيفه للبشر مباشرة بلون البشرة، كما افترض أن الأوروبي أبيض ورقيق ومتفائل ومبدع، ومحكوم بالقانون، بينما افترض الإفريقي أسود وماكر ومهمل ومحكوم بالهوى.

لقد كان هذا التصنيف - في الواقع - منسجما مع طبيعة المعرفة وقتها والأفكار الرائجة وقتئذ.

خلال القرن العشرين حاول العلماء في العالم الغربي التعرف على الأجناس البشرية ووصفها وتصنيفها وتوثيق اختلافاتهم والعلاقات بينهم بطريقة منهجية.

كما اقترح كون Coon[2] خمسة أصول لخمسة سلالات تسكن العالم اليوم وهي:

- **الاستراليون أو الجنوبيون:** نشأوا في جزيرة جاوة أصلا والمناطق الآسيوية المجاورة لها، ويرجع أصلهم إلى "إنسان جاوة" وهم حاليا سكان استراليا الأصليون، سكان بابوا، الملانيزيين وأقزام جنوب شرق آسيا،

[1] وردت قصة حام ابن النبي نوح في سفر التكوين الإصحاح التاسع، الآيات 18 – 25 .

[2] كارلتون ستيفنز كون Carleton Stevens Coon (1904 - 1981 سنة 1962 تصنيفا للسلالات في كتابه "أصل السلالات"

بالإضافة إلى قبائل الأبيتا في جزيرة لوزون في الفلبين، والسمانج في أواسط شبه جزيرة الملايو والأندمانيون في جزر أندومان في خليج البنغال. والمجموعات الجنوبية الأصل التي تسكن جنوب الهند مثل التاميل.

- **المغول:** أصلهم "إنسان بكين" ينتشرون في المناطق التي ينتشر فيها المغول اليوم، اي شرق أسيا وشمالها (عدى الاينو في هوكايدو وسكان جزية سخالين الروسية) ويشمل المغول أيضا مغول بولينيزيا والاسكيمو والأمرند في الامريكيتين.

- **القوقازيون:** أصلهم غرب آسيا، يتواجدون في أوروبا والمناطق التي استوطنها الاوربيون، والوطن العربي وبلاد فارس والأناضول والهند.

- **سلالة الرأس Capoids:** تشمل البوشمن والهوتنتوث في جنوب غرب إفريقيا.

الكونغوليون Congoids: ظهرت في إفريقيا الوسطى تشمل المجموعات الزنجية والقزمية الموجودة في إفريقيا.

تجدر الإشارة إلى أنه تم نشر أبحاث ودراسات جينية عديدة في أواخر القرن العشرين دحضت كلها فكرة وجود أجناس متميزة وراثياً، أي دحضت الفكرة التي روج لها كثيرا في أعقاب غزوات أوروبا الغربية بدءً من القرن الخامس عشر.

3 - مفهوم السلالة البشرية:

لقد ظهرت هذه كلمة "سلالة" قبل أي تحديد علمي سابق، عندما لاحظ الناس اختلافا في الصفات الظاهرة بين المجموعات البشرية دون القيام بدراسة لهذه الاختلافات، وما زالت أمرا غامضا يختلف عليه العلماء حتى وقتنا الحالي.

لقد ارتبطت "السلالة" و"العنصرية" بأوروبا والغرب، وبالعبودية الأطلسية والاستعمار الأوروبي ومناهضة السود، لكن البناء الاجتماعي للهويات السلالية ظهر في مجتمعات أخرى، وهو ما يمكن رصده في الصين واليابان عندما تم ابتداع سلالة "الهان Han" في الصين و"ياموتو Yamoto" في اليابان.

لقد شاع استخدام مصطلح "السلالة" في اللغة الإنجليزية في القرن السابع عشر في خضم المشروع الاستعماري الأوروبي، حين حددوا صفات عرقية لهم وللآخرين المختلفين عنهم تسمح لهم بالممارسات الاستعمارية الاستغلالية.

في الوقت الحالي كلمة سلالة (Race) تأخذ معنى الجماعة البشرية التي تحمل صفات جسمية وراثية معينة تميزهم عن غيرهم، وهي بذلك تأخذ معنى مختلف عن مصطلحات أخرى مثل الشعب people أو الأمة Nation فالشعب مجموعة من الناس ارتبطت حياتهم بروابط حضارية أو اجتماعية أو مادية أو تاريخية، و الأمة فهي شعور وعاطفة تربط بين مجموعة من الناس بينهم روابط لغوية وثقافية وحضارية وعليه فقد يكون شعب معين أو أمة معينة مكونة من عدة سلالات أو جزء من سلالة واحدة.

تشير الدلالة الاجتماعية والثقافية إلى أن السلالة تخص مجموعة من الناس يمكن تعريفهم بأنهم يشتركون في سمات طبيعية أو ملامح الوجه أو ينحدرون من أصل أو نسب مشترك.

وهي أيضا جماعة من البشر تتصف بصفات جسمية وراثية معينة تميزهم عن غيرهم من الجماعات البشرية الأخرى ويكون هذا التميز مرتبطا بإقليم معين أو مواطن جغرافية معينة ارتبطت حياتها بهذه المواطن وظروفها البيئية.

لقد قدم أنصار نظرية التطور (التي قدمها داروين Charles Robert Darwin (1809 – 1882) في كتابه "حول أصل الأنواع") وكثير من المفكرين الفلاسفة قبله تفسيرا لهذا التنوع، حيث أن "الأنواع تراكم اختلافات عبر الزمن، ونتيجة لذلك فإن الأحفاد تختلف عن الأسلاف وهكذا تظهر الأنواع من أنواع موجودة أصلا"، وتتم العملية وفق وجهتي نظر، الأولى وهي التي تبناها جين بابتست لامارك Jean-Baptiste Lamarck (1744 – 1829) وتقول بتوريث الصفات المكتسبة أي أن الكائنات تورث إلى نسلها التغيرات الجسمية والسلوكية التي اكتسبتها خلال حياتها، أما الثانية فترى أن الاختلاف لا ينشأ بسبب الخبرة ولكن نتيجة لفروق وراثية موجودة أصلا بين الأفراد.

في الحقيقة لا توجد في الوقت الحاضر سلالة نقية في العالم لأن كل المجتمعات البشرية شهدت اختلاطا بين أكثر من سلالة، ذلك أن جميع أصناف البشر يستطيعون التزاوج والإنجاب مع بعضهم البعض بغض النظر عن لونهم ونشأتهم الجغرافية وغير ذلك من الاختلافات البيولوجية والوراثية التي تؤدي إلى اختلافات في الصفات الجسمانية والتي بواسطتها يحاول الانثروبولوجيون استخدامها في تقسيم البشر إلى سلالات. حيث أدى التزاوج بين الناس إلى ظهور سلالات جديدة باستمرار، لقد مضى وقت طول

على النوع البشري كانت جماعاته في حركة مستمرة من الهجرة والغزو والانتقال من مكان إلى آخر ومن ثم اتصلت هذه الجماعات ببعضها البعض وتزاوجت وخلفت خليطا من السلالات.

لم يتوافق العلماء على عدد الأجناس البشرية، أو السمات التي ستستخدم في تحديد الأجناس، أو معنى العرق نفسه، فمنذ المحاولات البدائية الأولى لتصنيف السكان في القرنين السابع عشر والثامن عشر وحتى يومنا هذا اقترح الخبراء مجموعة من الأجناس المختلفة تتراوح من 3 إلى أكثر من 60 ، بناءً على ما اعتبروه اختلافات مميزة في الخصائص الفيزيائية، واستمر عدم التوافق هذا حتى وقتنا الحالي مرورا بالقرن الحادي والعشرين، وعليه لم يكن "للعرق" في تاريخ استخدامه معنى دقيق.

فمثلا تم تطبيق مصطلح العرق أيضًا على المجموعات اللغوية، مثل العرق العربي، العرق اللاتيني... الخ، أيضا تم تطبيقه على الجماعات الدينية (العرق اليهودي)، أيضا تم تطبيقه على المجموعات السياسية أو القومية أو العرقية التي لديها القليل من السمات التي تميزها عن جيرانها (العرق الأيرلندي، العرق الفرنسي، العرق الإسباني، العرق السلافي، العرق الصيني ...الخ.

4 - تصنيف السلالات البشرية:

4 – 1 - معايير وأسس التصنيف:

هناك اختلاف كبير في الصفات المعتمدة في تصنيف البشر إلى سلالات، لكن يجب أن تتوفر مجموعة من القواعد المنطقية في تلك الصفات:

- أن تكون صفة ثابتة مثل لون البشرة .... الخ لا متغيرة كالسمنة والنحافة ...الخ

- إن تكون الصفة متوارثة

- أن تكون الصفة يمكن ملاحظتها أو قياسها

من الصفات التي تنطبق عليها القواعد السابقة:

- لون البشرة

- شكل الشعر ولونه

- لون العين وشكلها

- شكل الرأس

- شكل الوجه

- شكل الأنف

- طول القامة

- فصيلة الدم

لأن كلمة سلالة تتضمن معنى التسلسل الإحيائي، أي أن التزاوج الداخلي بين أفراد المجموعة يؤدي إلى تجانس في الصفات الجسمية بين أفراد المجموعة، ولأن السلالة النقية تماما لا توجد في الواقع، يتم تطبيق قاعدة 75% (75 percent Rule) أي أنه يجب أن يكون ما يقارب 75% من أفراد المجموعة يتحدون في صفاتهم الجسمية ويختلفون عن المجموعات الأخرى المقارنة.

4 – 2 - أنواع السلالات وخصائص كل سلالة:

وفقا للقواعد المذكورة سابقا، يمكن تقسيم البشر إلى ثلاثة مجموعات كبرى رئيسة: القوقازيون، المغول والزنوج، وكل فرع ينقسم بدوره إلى سلالات فرعية.

- **السلالة القوقازية:** أكثر السلالات في العالم من حيث العدد ويطلق على أفراد هذه السلالة "البيض" أو "الأوروبيين"، أفراد هذه المجموعة عظام هياكلهم العظمية أكثر ثقلا وسمكا من عظام المجموعتين المغولية والزنجية، كما أن عظام المفاصل أطول، وعضلاتها أكثر وضوحا، كما أن الوجه مستطيل والفك صغير والأنف طويل ومرتفع والذقن واضحة والأكتاف عريضة، كما يتميزون كذلك بالبشرة البيضاء الوردية أو البنية، والشعر المتموج والشفاه الرفيعة.

- **السلالة المغولية:** يطلق على أفراد هذه السلالة الصفر أو الأسيويون، يمتاز أفراد هذه المجموعة بالرأس العريضة، والوجه المستدير أو المفلطح، والجبهة المرتفعة، والأنف العريضة والقصيرة والغائرة، والعين منحرفة ثقيلة الأجفان، كما أن الفك يمتاز بشيء من البروز إضافة إلى بشرة صفراء، ولون الشعر أسود مسترسل.

- **السلالة الزنجية:** يمتاز أفراد هذه المجموعة بالأنف العريض جدا، والرأس الطويل، الجبهة المستديرة، الوجه المتميز، مع بروز وضخامة الفك العلوي والجزء الأسفل للفم، الأكتاف العريضة والعظام الطويلة، وطول كل من عظام الساق واليد بالنسبة إلى عظام الفخذ والساعد، وكذلك البشرة الداكنة والأنف العريض والشعر المجعد والشفاه الغليظة، تبلغ نسبة أفرادها حوالي 10 %من جملة سكان العالم. وتتركز السلالة الزنجية قرب دائرة الاستواء في قارة إفريقيا (70 %من سكان القارة الإفريقية زنوزج، و75% من الزنوج في العالم في القارة الإفريقية).